**محاضرة الدراسات العليا الدكتوراه/ لغة**

**مادّة التيسير**

# نقد كتاب في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث

**للدكتور نعمة رحيم العزاوي**

**أ . د. ليث قُهَيِّر عبد الله**

**مناقشة الطالب محمد حماد علي**

**موقف العزاوي من النحو القديم**

ذكر العزاوي أن في النحو صعوبات وعيوب . وهذه الصعوبات تتمثل في: كتب النحو ومناهج النحاة و المادة النحوية نفسها .

أما كتب النحو فذكر أن أبرز عيوبها الاضطراب : ويقصد به عدم وجود خطة محكمة يقوم عليها بناء هذه الكتب ، وضرب مثالا على ذلك كتاب سيبويه ، فذكر أن الاضطراب واضح فيه فكان يؤخر أبواباً من حقها التقديم ، ويقدم أبواباً من حقها التأخير ، وكذلك عد من عيوب كتب النحو التطويل والاستطراد ، والحشد في معالجة قضايا أجنبية لا صلة لها بالنحو .

ثم ذكر من عيوب كتب النحو الجفاف ويعني به الاكتفاء بالقواعد مع عدد مكرر من الأمثلة والشواهد التي لا تفسح للدارس مجال التذوق ، ولا تسمح له بمحاكاة الكلام البليغ ، والنسج على منواله .

والذي يبدو لي أن هذه الكتب ألفت في عصر كان الناس يتكلمون باللغة سليقة ، وإنما ألفت للتذكير فلم يبتعدوا عن عصر الفصاحة ، فكانت الحاجة إلى التأليف لا تستدعي أكثر من التذكير بتلك القواعد والسير على هذا المنوال .

ثم أورد من عيوب منهج النحاة فذكر أنها قامت على أسس باعدت بين النحو وظيفته والغاية المتوخاة منه فذكر من تلك العيوب ما يلي :

أ . عدم التزام المستوى الأدبي الموحد للغة العربية ، واقحام اللهجات المحلية .

ب . جمع اللغة في أزمنة متباعدة ، وقبائل مختلفة ، وذلك أدى إلى اضطراب وتضارب الأقيسة .

ج . عدم الفصل بين الشعر والنثرفقد كانت شواهدهم الشعرية تفوق في عددها الشواهد النثرية .

د . تسرب عناصر أجنبية من مناهج التفكير إلى النحو وسيطرتها على عقول النحاة وطريقة فهمهم لقضايا النحو .

هـ . الإغراق في التعليل ، فإذا كان هناك مسوغ للتعليل في المسائل الفقهية ، فليس هناك مسوغ للأخذ به في الدرس اللغوي .

**موقفه من العامل**

لقد هاجم المجددون العامل متأثرين بدعوة ابن مضاء والذين ساروا بهذا الركب، فعدوه من أهم ما أسفر عنه المنطق في النحو العربي ، وذكروا أن العامل هو ما ترتب عليه مشكلات النحو ، وعددوا من أبرز تلك المشكلات ما يأتي :

١- تعدد الآراء في العامل في بعض الكلمات كاختلاف النحاة في رفع الاسم الذي يتلو لولا ، في نحو قولهم : لولا زيد لزرتك .

٢- اهدار المعنى وعدم مراعاته عند تقدير العامل .

٣- تفريق الموضوعات المتشابهة في أبواب متباعدة ، فجمعوا ما كان ينبغي أن يكون مفرقا ، وفرقوا ما يجب أن يكون مجموعا كتفريقهم في أدوات النفي في عدة أبواب .

٤- وذكروا من آثار العامل ووصفوه بالسيء تقسيم الأدوات إلى فئات ثلاث : مختصة بالأفعال ، ومختصة بالأسماء ، ومشتركة تدخل عليهما كليهما .

أما العزاوي فرد على المجددين رأيهم بالعامل بقوله : إذا كان العامل في رأي بعض المجددين ليس سبباً لهذه الحركات التي تظهر أواخر الكلمات أسماءً أو أفعالاً ، فما سبب ظهورها ؟ وما التفسير الذي قدمه المجددون لها؟ وهو بهذا يخالف رأي المجددين وينتصر لفكرة العامل ، وذهب إلى أن تفسيراتهم لإلغاء العامل ليس لها مبرر ، فهم بهذا متأثرون بالمذهب الظاهري في الفقه ، فكما ألغى الظاهرية التعليل من الفقه نقل هذا الحذف إلى النحو .

**موقفه من محاولات التيسير في التراث**

يرى العزاوي أن محاولات التيسر انحصرت في الكتب والثانية في مناهج النحاة ، أما المادة النحوية فيرى أن العلم الحديث لا يقر صعوبة لغة وسهولة أخرى ، ويرى أن لكل لغة نظامها الخاص الذي لا يجوز وصفه بصعوبة أو سهولة .

ويرى العزاوي أن المنطق وعلم الكلام والفلسفة تركت آثارها في النحو ، وهذا أدى إلى تعقيد صورة النحو ، أما فيما يتعلق بغموض الأسلوب فعدها ظاهرة رافقت كتب النحوالمطولة منذ كتاب سيبويه ، وممن وصفه بوضوح الأسلوب وسهولة العرض فهو الفراء الذي غضب عليه النحاة ، فقالوا : إن دام هذا على هذا علَّم النحو الصبيان . مما حمل أحمد مكي الأنصاري على أن يعده رائد التيسير .

والذي يبدو لي أن النحاة الأوائل عندما ألفوا كتب النحو جاءت ملائمة للزمن الذي ألفت فيه ، والتي دعتهم الحاجة إلى تلك المؤلفات ، فكان العربي يتحدث بلغته سليقة ، وإنما ألفت للتذكير ، وليس لتعليم المبتدئين ، ثم بعد أن ابتعد الناس عن عصر الفصاحة واختلطت الألسن احتاجوا إلى المطولات والشروح والكتب التي تفسر وتعلل الأحكام .

**موقفه من دعوات التيسير**

قسم العزاوي دعوات التيسير على ثلاثة أقسام :

الأول : دعوات ظالمة لا تستند إلى أساس ، ولا تقدم غير التجريح ، وهي إلى الهدم أقرب منها إلى البناء ، وعد من هذه الدعوات دعوة جرجيس الخوري المقدسي عام ١٩٠٤ م من كلمة عنوانها العربية وتسهيل قواعدها .

الثاني : دعوات لم تهدف إلى النقض أو الهدم ، وإنما انطوت على اقتراحات جزئية ، لم تنتظم النحو كله ولم تُعنَ برسم بديل له ، وعد

من تلك الدعوات جملة آراء تضمنها مقال لساطع الحصري نشره في مجلة الرسالة عام ١٩٣٨ م ، وذكر أنه عالج فيه بعض صوبات النحو التعليمي ، ولم يسبقه بها أحد .

الثالث : محاولات التيسير الشاملة ، والتي شملت النحو كله ، فذكر أنها اقتصرت على الناحية النظرية ، وذكر من تلك المحاولات :

١- إحياء النحو ، والذي عده أول كتاب ظهر في العالم العربي في العصر الحديث .

٢- محاولة وزارة المعارف المصرية : والتي أُلفت من لجنة للنظر في قواعد النحو والصرف والبلاغة .

٣- النحو المنهجي : لمحمد أحمد برانق .

٤- النحو الجديد : لعبد المتعال الصعيدي التي ظهرت عام ١٩٤٧ م .

٥- النحو الجديد أيضاً : ليعقوب عبد النبي عام ١٩٤٥ م .

٦- محاولة شوقي ضيف .

٧- محاولة أحمد عبد الستار الجواري .

٨- محاولة مهدي المخزومي .

ويرى العزاوي أن هؤلاء النحاة مجمعون على أن النحو عسير غير يسير ، ووعر غير ممهد ، لكنهم متفاوتون في كيفية معالجة هذه الصعوبة ، أو الوعورة ، فهؤلاء يرون أن التيسير المشار إليه لا يحل مشكلة النحو ولا يقضي على مصادر الصعوبة فيه ما لم يسبق بخطوة جريئة تتوخى إحياء النحو أو تجديده .

فالذي يبدو لي أن هؤلاء في معالجتهم هذه حاولوا نسف النحو العربي بأصوله ومباحثه والإتيان بنحو جديد يتماشى مع أفكارهم ومعتقداتهم ، وأنى لهم هذا وقد جمع النحو من أفواه الفصحاء وتم استنباط أحكامه من لدن علماء أفذاذ قرأوا وتفحصوا وعللوا واستنبطوا ، فلو أن المحدثين حاولوا التجديد في الأساليب

وطرائـق التعلـيم وسـبل الإصـلاح الحقيقـي لكـان عملهـم يـدعو إلـى التيسـير مـن دون أن يمسـوا القواعـد التـي سـار عليهـا الأولـون حتـى أوصلوها لمن بعدهم .

**نقد وتقويم العزاوي للمحاولات السابقة**

يـرى العـزاوي أن المحـاولات التـي عـرض لهـا فـي كتابـه لـم تكـن علـى درجـة واحـدة مـن الأهميـة ، وعـد مـن أهـم تلـك المحـاولات ثـلاث فقـط هـي محاولـة إبـراهيم مصـطفى ثـم محاولـة تلميذيـه الجـواري والمخزومـي اللـذين وافقـاه فـي كثيـر ممـا ذهـب إليـه ، واقتصـر فـي نقـده لمحـاولتين فقـط همـا : محاولة الجواري ، ومحاولة المخزومي

**الأولى : محاولة الجواري :**

نـاقش الـدكتور العـزاوي محاولـة أسـتاذه الجـواري ، وذهـب إلـى أنهـا توافق آراء القدماء في بعض أحوالها ، وتناول بعضا من تلك الآراء :

١- قسـم علامـات الإعـراب إلـى أصـلية وفرعيـة ، وبهـذا يـذهب مـذهب القـدماء ، ويخـالف رأي أسـتاذه إبـراهيم مصـطفى ، الـذي عـد علامـات الإعراب الفرعية حركات مشبعة .

٢- يـرى الجـواري أن الخبـر مرفـوع بوقوعـه موقـع الإسـناد ، فـي حـين يرى إبراهيم مصطفى أنه تابع للمبتدأ .

٣- رفـض الجـواري علـة منـع الاسـم مـن الصـرف بشـبه الاسـم مـن الفعـل ، وهو بهذا يخالف النحاة القدامى ، وعدَّ هذا الأمر بعيدا وفيه تكلف .

٤- وافـق الجـواري أسـتاذه إبـراهيم مصـطفى ، علـى أن الفتحـة هـي أخـف الحركـات ، وأنهـا المسـتحبة ، وخالفـه فـي عـدم عـدِّها حركـة دالـة علـى معنـى ، قـال الجـواري : إن النصـب هـو المرتبـة الوسـطى فـي الإعـراب وإنـه حالـة الإعـراب التـي ينطـوي فيهـا أكثـر مـن معنـى واحـد .علـى أن هـذا لا يعنـي أننـا نسلِّم بمـا يـراه الأسـتاذ إبـراهيم مصـطفى مـن أن الفتحـة

، وهي علامة النصب الأصلية، حركة ليست بذات معنى ،ودلالة لها على موقع الاسم من الكلام

٥- وبعد كل هذه المواضع ، رجع العزاوي إلى كتب النحاة الأوائل ، وتأمل في جهودهم في مجال التجديد والتيسير ، فعد تلك الثغرات لا تقلل من شأن تلك الجهود ، وذلك بقوله : ثغرات طفيفة ، لا تنال أكثرها من هذه الجهود ، بقدر ما تمثل دليلاً على أصالة الدارس ، ورغبته في الاستقلال بالرأي

٦- كان الجواري متردداً بين القديم والحديث ، فعلى الرغم من أنه دعا إلى إلغاء نظرية العامل ، إلا أنه عاد عن هذه الدعوة في كتابيه نحو الفعل و ونحو القرآن . من ذلك موافقته للنحاة في أن الفعل المضارع ينصب بعوامل لفظية هي الحروف .

وقد أخذ على الجواري عدم تفسيره حركة المنادى على الرغم من أنه فسر مرفوعات الأسماء ، ومنصوباتها ، ومجروراتها ، وكذلك أخذ عليه عدم تفسيره الفتح في آخر الفعل المضارع المؤكد بالنون ،وعد ذلك ثغرة على الجواري .

**الثانية - محاولة المخزومي :**

يرى الدكتور العزاوي أن الدكتور المخزومي متأثر بالقدامى كالخليل وسيبويه والفراء، الذي عد هؤلاء هم من أقاموا النحو العربي على أسس سليمة مستمدة من استقرائهم الدقيق لكلام العرب .

ويراه متأثرا بالنحو الكوفي ؛ لأنه يراه لم يتأثر بالمؤثرات التي تأثر بها النحو البصري من الفلسفة والمنطق والمذهب الكلامي . والمخزومي تأثر بدعوة ابن مضاء في إلغاء نظرية العامل ، وإلغاء التعليل ،وغيرها من الدعوات.

وقد أفاد المخزومي من الدراسات اللغوية الحديثة ، وجهود بعض المستشرقين في مجال الدراسة العربية . سار المخزومي في ركب ابن مضاء القرطبي ، وخاصة في مسألة إلغاء العامل ، وإلغاء بعض العلل ، ورفض بابي التنازع والاشتغال وغيرها . إذ يرى الدكتور العزاوي أن المخزومي استقى من منهج استاذه إبراهيم مصطفى ، وأخذ منه كثيرا في محاولته لتجديد النحو ، وقد أخذ كثيرا من آرائه في كتابه .

**مآخذ العزاوي على المخزومي :**

أخذ الدكتور العزاوي على المخزومي مآخذ ، غير أنه عدها لا تقلل من قيمة البحث وقيمة النتائج التي توصل إليها ، ومن هذه المآخذ هي

١- الاضطراب في مفهوم النحو ، فمرة يدعو إلى تفرق موضوعات النحو عن موضوعات اللغة الأخرى كالصوت والصرف ، ثم يعود ويجمع بينها في كتابه في النحو العربي قواعد وتطبيق .

٢- اعتماده في المباحث الصوتية على أفكار الخليل فقط ، ولم يأخذ بما جاء به العلم الحديث من آراء صوتية حديثة .

٣- رفض المخزومي البدل إلا بدل الغلط ، لكنه أقره في باب الاستثناء كقولهم: ما جاء الزائرون إلا زيدًا أو زيدٌ وجوز فيه النصب على الاستثناء ، والبدل بما قبله . والذي يبدو لي أن باب البدل باب معتد به ولا يمكن انكاره ، فهو التابع المقصود بالحكم بلا واسطة بينه وبين متبوعه . ثم إننا لو حذفنا البدل فما الذي يحل مكانه ؟ أو يعوض في إعرابه ؟

٤- جعل المخزومي صيغة فاعل فعلا وليس اسم فاعل ، وعلل لذلك بأن التنوين الذي في هذه الصيغة ليس تنوين اعراب ، وإنما هي حركة

مجاورة ، وقدر لها محذوفا قبلها ومثل لذلك بقول :عجبت له من ماهر في صنعته فقدر له عجبت له من رجل ماهر في صنعته وأخذ عليه العزاوي هذا التكلف في التقدير؛ لأنه لجأ إلى تقديرات بعيدة وأقحم نفسه فيما هرب منه .

والذي يبدو لي أنه تكلف في تأويل الحركة الإعرابية مرة ، وتكلف في تقدير المحذوف مرة أخرى ، ولا يمكن أن يعد هذا الامر من التيسير في شيء .

## نتائج البحث

بعد أن أنهيت قراءة كتاب في حركة تجديد النحو و تيسيره في العصر الحديث توصلت إلى جملة من الاستنتاجات وهي كالآتي :

١ - تحدث العزاوي عن صعوبات النحو العربي في المؤلفات القديمة ، وأغفل مسألة أن هذه الكتب أُلفت لتتناسب مع التعلمين في المرحلة التي ألفت بها .

٢ – كان العزاوي من الرافضين لمحاولة ابن مضاء من خلال وصفه لها بأنها أخطر محاولة إصلاحية في تأريخ النحو العربي ، وذكر أنها مستوحاة من مذهبه الظاهري .

٣ – كان العزاوي حذراً في حديثه محاولات التيسير ، والتي ذكر أن قسماً منها لا تستند إلى دليل ، ولا تقدم غير التجريح وهي إلى الهدم أقرب .

٤ – أراد العزاوي تيسير النحو الذي لا يمس جوهر النحو ولا صورته القديمة ، وإنما في الاختصار وإعادة ترتيب أبوابه وتيسير أسلوبه على الدارس والمتعلم .

٥ – كـان العـزاوي علـى علـم بمسـتويات الطلبـة ، وحـاجتهم إلـى التيسـير بحكم تدرجه في تدريسهم في مراحل متعددة وفئات عمرية مختلفة .